

ولقد اختلفت مناهج الإصلاح الديني لدى هؤلاء المصلحين ، إذ كان منهم من أرادها جامعة إسلامية كما فعل الكواكبي في كتابه « أم القرى » ومنهم من رأى الوسيلة إلى تحقيق ذلك التغيير السريع في القمة الحاكمة ، على أن إصلاح الراعي يتبعه صلاح الأمة ، وأنه لا ينهض بالشرق إلا مستبداً عادلاً ، كما كان الأفغاني يرى ، ومنهم من مال به طبعه الهاديء إلى التماس العلاج في تربية الأمة ، فإذا أصلح حالها صلح رعاتها كما كان محمد عبده يرى ، ومنهم من حاول تجديد الثقافة الإسلامية واتخاذها أساس البناء الثقافي كما فعل الرافعي ، ومنهم من أعانته قدرته على تحليل الشخصيات والأحداث ، وأسعده حسن تاريخي دقيق ، وثقافة عامة واسعة فتناول عباقرة التاريخ الإسلامي بالدراسة كما فعل العقاد .

ولكن برغم اختلاف هذه المناهج كان ثمة اتفاق بينها ، هو اتخاذ التراث الإسلامي دعامة النهضة الأساسية وظهيرها القوي ، وروحها الساري . وقد ترتب على هذا الفارق الجوهرى بين الخلفية الفكرية للكلاسيكية الغربية والخلفية الفكرية للكلاسيكية العربية ، أن كان الأدب العربي الكلاسيكي موصولاً بالتراث الإسلامي وتمثيلاً له ، ففي هذا الأدب يجملته غيرة عامة على الإسلام ورجاله .

وصحيح أن الشعر الجاهلي كان ذا مكانة ممتازة لدى الكلاسيكيين ، ولكن ذلك لا يعني أن الكلاسيكية العربية بعثت بالأدب الجاهلي تراثاً وثنياً كما فعل الأوربيون بإحيائهم الأدب الإغريقي والروماني الوثني ، لأن ما رواه الرواة من شعر الجاهلية ، وشاع وذاع من هذا الشعر لا أثر للوثنية الجاهلية العربية فيه .

وقد يبدو غريباً حقاً ألا يترك شعراء الجاهلية الوثنيون شعراً وثنياً ، وهم من نعرف صدقاً وبعداً عن تزييف تجارهم ، وتقرباً من تصوير معتقداتهم ومشاعرهم ببساطة وبدون تكلف .

إنني أعتقد أنه كان للوثنية أثرها في شعر الجاهليين ولكن الراوي المسلم كان يتجنب رواية الشعر الوثني ، الذي يدين بأحد الأصنام ، ويؤثر - بدلاً من